على الجليد وان ننظر من بعيد وغيرنا يتصرف في لغتنا كيف يشاء ولست اريد بذلك ان انههم عن الاقتباس والتصرف لكنني اريد ان يعلم اخواننا العرب ان من الواجب عليهم ان يشتركوا في تلك المباحث اللغوية ولو انصفوا ان لم يعرفوا التركية وبالشوم حتى يتبين الحق فيفيد ويستفيد · فيفيد اخواننا الاتراك اذ نعطيهم كلمة خالية عن الخلط المصري مؤدية لمعنى المرادة في حاجة اليها ويستفيد اذ نحن ايضاً احوج منهم الى امثال تلك الكلمات

روم ايلي ر ب

الالقاب العلمية

ليس في الايدي مستند يركن اليه في تاريخ حدوث الالقاب العلمية في الملة الاسلامية والظاهر انها حدثت في النصف الاخير من عهد بني العباس وشاعت واتصلت زمن ملوك الطوائف ثم في عهد الدولتين الجركسية والعثمانية في هذه الديار ايام اصبح العلم عبارة عن رسوم والعلماء هم الذين يقربهم الملوك والحكام ولو كانوا اجهل من قاضي جبل بل اصبح امر الالقاب اقرب الى الهزل منه الى الجد فصارت جملة « اعلم العلماء المحققين » تطلق على كل صعلوك له منصب في القضاء او الافتاء او التدريس بشفاعة او قرابة او الارث لان العلم في الثلاثة القرون الاخيرة اصبح يورث كما يورث الماعون والحرث والعقار والمزرعة

ثم عدت الالقاب العلمية التي تطلق على ابي حامد الغزالي وابي عمرو الجاحظ وابي الوليد ابن رشد وابي العلاء المعري وابي الاسحق الاسفرايني تطلق الآن على من يحاولون ان يرجعوا الى الكتاب الدال بعمامة ليس لهم من ادوات العلم الا انهم اعتموا بالبياض ولبسوا الجبة على الزي المتعارف لهم وان الفاظ العالم والعلامة والامام والرباني (١) والحبر (٢) التي لم تطلق الا على اكثر جملة

(١) الرباني العالم العامل الذي يغذو الناس بصغار العلوم قبل كبارها وقال محمد بن علي بن الحنفية لما مات عبد الله بن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وروي عن علي انه قال الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق والرباني العالم الراسخ في العلم والدين او العالم العامل او العالي الدرجة في العلم وقيل الرباني المتأله العارف بالله تعالى (٢) قال ابن سيدة في المخصص ابن السكيت الحبر والحبر بكسر الحاء وفتحها العالم وقال صاحب العين هو العالم من علماء الديانة مسلماً كان او ذمياً بعد ان يكون كتابياً والجمع احبار

الشريعة والعلم أيام نضارة الدين أصبحت تطلق على جماعة منهم فطالما كانت هذه الألقاب تحمل لأولئك في الأمة العربية مزية ظاهرة تميزهم وتعلو بهم وقد تستعرض النظر في الألقاب في العصر والأعصار ولا نجد واحدا يستحق هذه الألقاب فصرت الحافظة في عهدنا إلى منزلة مبتذلة كل الابتذال. فأي مسلك وجميع من فيه شيء من التذكر عني أو لابأس بهما وطنين في خدمة الحكومة يطلق لقب «العالم الفاضل» و«العلامة الفاضل» و«الإمام المحدث» بدون تحكم.

كان يقال للحسن بن إبراهيم الحضرمي «علامة أهل الشام» والخليل بن أحمد «علامة البصرة» وثابت بن أبي «إمام دار الهجرة» وعبد الله بن عباس «رباني هذه الأمة» أما اليوم فإن الفاضل عالم وعلامة وإمام تطلق على المتحرفين والمتطفلين الذين يعلمون الأمة شيئا فقد كان يلقب بالعلامة الأول قطب الدين الشيرازي كما يطلق لقب العلامة الثاني على سعد الدين التفتازاني على نحو ما أطلق على أرسطو لقب المعلم الأول وعلى الفارابي لقب المعلم الثاني

وتشدد قوم في إطلاق ألقاب التفخيم حتى على العلماء صيانة لألقابهم من الابتذال ورأيت العصام في حاشيته على الجامي لإطلاقه الجامي العلامة على ابن الحاجب قلت «العلامة الشهير في المشارق والمغارب» فقال إن في وصف ابن الحاجب بالعلامة نظر لأن هذا اللفظ إنما يصدق على من يكون من العلماء من جمع جميع أقسام العلوم كما هو حقه من العلوم العقلية والنقلية وليس ابن الحاجب إلا من أئمته في العلوم النقلية. وإنما خص من بين العلماء قطب العلامة قطب الدين الشيرازي بالعلامة حيث سبق العلماء كلهم في جميع أقسام العلوم

هكذا كان أدب سلفنا أما اليوم فقد استرسل عامة الكتاب في هذا الشأن فسموا إلى نحو الألقاب الشريفة التي ما جهروا بإطلاقها على مثل ابن الحاجب الإمام المحقق في عصره وبلغت الحال ببعضهم أن صاروا يكتبون بأيديهم من أسمائهم ألقاب العلامة والعالمية والأستاذية لا تليق في الأذهان إلا على هذا المثل

وعنده أن الأحرى بمن تدور مداركه على الفقه وعنده أن يسمى فقيها أن كل من برز وأحكم الحديث في أصوله وفروعه ومن اقتصر على الأصول وعنده أن يسمى أصوليا ومن غلب عليه علم الحديث أن يقال له محدثا والأولى كلمة عالم لا تقال إلا لمن عمل بما يعلم كما قال بعضهم وإن شئت فقل لمن يظهر فيه أثره ويخرج أجزاء عنه إلى الخارج قال ابن جني لا كل العلم قد يكون الوصف به بعد المزاولة له وطول الملابسة صار كأنه غريزة ولم يكن على أول دخوله فيه ولو كان كذلك لكان متعلماً لا عالماً

جرت على هذه القاعدة الأمم الراقية قديماً وأمم المدنية الحديثة فلم تطلق على سقراط وأفلاطون وأرسطو الفلاسفة ألقاب العلماء في بلاد اليونان إلا بعد أن قضى كل منهم ستين في التعلم وستين في التعليم وهكذا رأينا الأمم الحديثة تطلق على نيوتن وهكسلي وكونت وكانت وكثير أمثالهم لأنهم درسوا الدروس العالية كما وردنا على رجال عصرهم علوم مخصوصة أبرزوا فيها آثار عليهم وأثروا في محيطهم

ومن عجيب الأخلاق أن من يشتغلون بشيء من علوم الدين في عهدنا يعز عليهم إلا أن تبقى ألفاظ العلماء والمحقق والعلامة محصورة بأهل طبقتهم كأن من يعلم الهندسة أو الطب أو الحقوق أو الصحافة أو السياسة لا يستحق أن يعد في العالمين ولو استطاعوا أخذه كثيرين منهم أن يبقى هذا اللقب لهم وكذلك بعض المشتغلين بهذه العلوم الدنيوية يعز عليهم أن يطلقوا الألقاب العلمية على من لا يماثلونهم علومهم في حين رأينا صاحب إرشاد القاصد وصاحب كشف الظنون عدا العلوم كلها دينية ودنيوية وسماها كلها علوماً حتى السحر والطلسمات والشعبذة فذكر الأول من أنواعها ستين نوعاً والثاني مئة وخمسين نوعاً

ومن عجب كيف أخرج بعضهم في القديم إسحق بن إبراهيم الموصلي من طبقة الفقهاء وكان أحرى أن يعد فيهم لأنه يضاهي الأئمة ويخرج ضروب الغناء ويشتغل بآلات الطرب مع أنه ليس دونهم علماً بعصره بعلومهم ولكن غلب عليه

لهذا نعدوه في الندماء كما غلب الشعر على مطيع فعددناه في الشعراء أمثال أبي نواس وما هو في حقيقته إلا من كتاب العربية .

وإذا استقرينا التاريخ على اختلاف عصوره نجد أن المصنفين من المؤرخين يذكرون العالمين بغير العلوم الدينية كما يذكرون علماء الدين لأنهم كانوا أعضاء نافعين في المجتمع فقد كان خالد بن يزيد الأموي من أهل القرن الأول عالم قريش بالكيمياء والطب بصيراً بهذين العلمين وكان أبو الفضل الحارثي من أهل القرن الخامس عالماً بالهندسة والفلك والحساب والتقسيمات والهيئة وعمل الرصد وضرب الخيط والطب ومحمد القيسراني من أهل القرن الخامس أيضاً عالماً بالمساحة والميقات والفلك ورضوان الخراساني من أهله أيضاً عالماً بالرياضيات وأبو المجد ابن أبي الحكم من أهل السادس عالماً بالطب والهندسة والنجوم والموسيقى والعدد والغناء والإيقاع والزمر وسائر الآلات عمل أرغناً وبالغ في إتقانه وكان ابن الصلاح من أهل السادس عالماً بالحكمة متميزاً بالطب وموفق الدين بن المطران من السادس عالماً بالطب والحكمة وابن المؤيد العرضي ورفيع الدين الجيلي وعز الدين الإربلي من أهل السابع علماء بالحكمة والرياضيات .

وهكذا لو استقصينا كتب التراجم لكثرت من أسماء المشتغلين بغير العلوم الدينية على نسبة طويلة وكلهم أطلق عليهم اسم العالم والمحقق والإمام والعلامة على رغم أنوف المنكرين وذكرتهم الأعصار آثارهم أكثر ممن جعلوا مناصب الدين والقائمة منها الى القليل ونيل حظوة من العامة والتزلف من السلاطين والأمراء .

وقد رأينا بعض المشتغلين بعلوم الشريعة جهدوا يتحاشون من إطلاق لفظ عالم وعلامة على من يجري مجراهم الخاص أن يطلق لقب الكاتب على الـ لفظة كاتب التي تكثر بها قل في المعدودين من يستحقها قال ضياء الدين بن الأثير في المثل السائر : يجب للكاتب أن يتعلق بكل علم حتى قيل كل ذي علم يسوغ له أن ينسب نفسه إليه فيقال فلان النحوي وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ له أن ينسب نفسه إلى الكتابة فيقول فلان الكاتب وذلك لما يفتقر إليه

من الخوض في كل فن اه

وهذا الضحك البارد في الخطأ ممن أحصوا في بعض الفنون التي يجهلها أكثر المتعلمين ولا يعدونها شيئا في العلوم يخرج كثيرا من الأئمة من عداد العلماء بحسب عرفهم فمن لا يتقن الكتابة إلا من جهة يسمعون أمثال الجاحظ فانه بحسب عرفهم كاتب فقط لانه مجيد في الانشاء بغايته وكذلك القاضي الفاضل وابن خلدون وابن فضل الله وأبي الفدا وغيرهم من مشاهير العلماء الذين كانوا أئمة في الانشاء هذا لان أولئك الاعلام لم يعلموا ولم يريدوا أن يؤلفوا في الفقه والاصول والكلام والحديث على حين ورد في الكتاب العزيز « يعلمه علماء بني اسرائيل » واطلق تعالى عليهم لفظ علماء وعلماء فيه « والذين أوتوا العلم درجات » قال الراغب ان هذا تنبيه منه تعالى على تفاوت منازل العلوم وتفاوت أربابها

وقد شاهدنا ما يضحك من تحكم بعض أرباب الصحف السيارة في الالقاب العلمية حتى آل الامر ببعض الفضلاء أن يستنكفوا من ذكر أسمائهم بين الناس لا يلحقون أقدارهم تعالى لان محرر كل صحيفة يعطي من الالقاب لمن يحبه ما يستحق الناقل من علاقته على أفضل أهل العصر ويمنع ذلك عن المستحق يريد بذلك امتهانه حتى قال بعضهم من العلامة أن لا يكون المرء علامة ما دامت لفظة علامة تطلق على المقلين من الطلبة فأجدر بمن يستحقون هذه اللفظة أن يرغبوا عنها وهكذا لفظ « الاستاذ » و « العلامة » و « الفاضل » وهذه اللفظة اليوم تطلق على تسعة أعشار من يقرأون ويكتبون .

ويظهر أن مسألة الألقاب ومسألة الأعلام على نمط واحد يأخذ بعضها بعضاً في كل أمة والتساهل في الالقاب من جملة تملق الامة الى من يطلق عليهم الخاصة منها الشهرة دون الألباب وما أجدر أرباب الصحف والمجلات أن يتخلوا عن هذه الالقاب التي لا معنى لها ولا مقياس ويذكروا الاسماء مجردة كما هو اصطلاح الامم الراقية كالانكليز والأميركان والفرنسيس والألمان بل كما كان اصطلاح أجدادنا العرب صدر الاسلام والمتأخرين بالوصف ثم أوصافهم تغنيهم عن مثل

التعليم زمنا وتخريج طبقة راقين أو الإعادة في التأليف ونحو ذلك من سمات العقل [illegible] التصانيف [illegible] والجرائد والمجلات كالكتب لا تخرج عن حد التأليف في صورة أخرى. ولهذا وجب أن نفرق بين الكاتب المجيد ولاسيما إطلاق الألقاب العلمية على من لا [illegible] في ذلك [illegible] بمقادير أهل الأعمال.

الخزانة التيمورية

في مصر [illegible] في العراق بعد من طلب اللغة العربية وآدابها [illegible] بعض الأفراد [illegible] الجاهل فقد اقتضت [illegible] في مصر [illegible] العلم [illegible] وكانت أكبر آفة [illegible] الوطن والكتب [illegible] الشريفة [illegible] رأينا رجلا في مصر اشتغل بالعلم من حيث هو علم لا لغرض [illegible] ومن تلك الفئة الصالحة التي [illegible] والآداب من حيث [illegible] أحمد بك تيمور [illegible] منذ اثنتي عشرة سنة يختلف إلى شيوخ الأدب واللغة في [illegible] العلماء [illegible] يعرف [illegible] الصحف والمجلات حتى اليوم أدل دليل على [illegible]